الفَصْلُ الثَّامِنُ

خُطَبٌ حَرْبِيَّةٌ

(١) خُطَبٌ حَرْبيّةٌ
لعُمّالِ بني أُميّةَ وقَادَتِهم

١ ـ خُطْبةٌ لعمرِو بنِ الحجَّاجِ الزُّبَيْديِّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٣٦

والكامل في التاريخ ٤: ٦٧

لَمَّا دَنَا عمرُو بنُ الحجَّاجِ الزُّبَيْديُّ من أصْحابِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ بِعَقْرِ بابلَ قُرْبَ كَرْبَلاءَ، جَعَلَ يُحرِّضُ أهْلَ الكوفةِ على قِتالهم، ويقولُ:

«يا أهْلَ الكُوفةِ، الْزَمُوا طاعَتَكُمْ وجَماعَتكم[1]، ولا تَرْتَابُوا في قَتْلِ مَنْ مَرَقَ[2] من الدِّينِ، وخَالَفَ الإمَامَ».

٢ ـ خطبةٌ لِمُسْلِمِ بنِ عُقْبَةَ المُرِيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٨٨

لَمَّا أبَى أهلُ المدينة أنْ يُبايعوا ليزيدَ بن معاويةَ، وَجَّه إليهم مسلمَ بنَ عقبةَ المـريَّ في جيش أهل الشام، فمضَى بهم حتى نزل الحرَّة، وحاصرَ المدينةَ من قِبَلِ المشرقِ. ثم دعا أهلَها إلى الطاعةِ ومراجعةِ الحقِّ، وأجَّلَهـم ثَلاثاً، فلـم يُسـالموه ولم يُذْعِنُوا لـه. فـاقتتلَ الفريقـان، وحَمَلَـتْ خيـلُ عبـد اللهِ بـن حنظلـةَ الغسـيلِ الأنصـاري علـى أهـل الشـام فانكشفوا، وقُتِل صاحبُ رايتهم، فأخذ مسلم بن عقبـة الرَّايـة، ونـادى في أهـل الشـام يُؤَنِّبهم ويُحَرِّضهم على قتال أهل المدينة:

«يا أهل الشام، أهذا القتالُ قتال قومٍ يريدون أن يَدْفعوا به عن دينهم، وأن يُعِزُّوا به نصرَ إمامهم؟ قَبَّحَ الله قتالكم منذُ اليوم! ما أوْجَعَه لقلبي، وأغيَظَه لنفسـي! أمَـا والله مـا

---

(١) لَزِمَ الطَّاعةَ: ثَبَتَ عليها ولم يتركها، ولَزِم الجماعة: اتَّبعَها ولم يفارقها.

(٢) مَرَقَ من الدِّينِ: خَرَجَ منه وخَرَقَهُ وتَعَدَّاه.

جزاؤكم عليه إلا أنْ تُخرَمُوا العَطَاءَ، وأن تُجَمَّرُوا في أقاصي الثُّغورِ[١]. شُدُّوا مع هذه الراية، تَرَّحَ[٢] الله وجوهَكم إن لم تُعْتِبوا[٣]».

٣ ـ خطبةٌ لمسلمِ بنِ عُقْبَةَ المُريِّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٨٩

وأنساب الأشراف ٤: ٢: ٣٦

أقْبَلَتْ خَيْلُ مسلمِ بن عُقْبَةَ ورجالُه نحوَ عبد الله بن حَنْظَلَةَ الغسيلِ ورجالِه حتى دَنَوْا منه. وركب مسلم بن عقبة فرساً له، فأخَذَ يسيرُ في أهلِ الشامِ ويُحَرِّضُهم ويقول:

«يا أهلَ الشام، إنكم لستم بأفضلِ العربِ في أحسابها ولا أنسابِها، ولا أكثرِها عَدَداً، ولا أوسعِها بَلَداً. ولم يَخْصُصْكم الله بالذي خَصَّكم به من النصر على عدوِّكم، وحُسْنِ المنزلةِ عند أئمتكم، إلاّ بطاعتكم واستِقامتِكم. وإنَّ هؤلاء القومَ وأشباهَهم من العرب غيَّروا، فغيَّر الله بهم. فتِمُّوا[٤] على أحسنِ ما كنتم عليه من الطاعة، يُتْمِمِ الله لكم أحسنَ ما يُنيلكم من النَّصْرِ وَالفَلْجِ[٥]».

٤ ـ خطبةٌ للمهلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ الأزدي

الكامل للمبرد ٣: ٣١٩

لما دعا أهلُ البصرةِ المهلبَ بن أبي صفرة لحرب الخوارج استجاب لهم، فَنَفَى الخوارجَ عن البصرة. ثم نازلهم بسُولافَ من خوزستان، فاقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان. ثم حملت الخوارج حملةً صادقةً على المهلبِ وأصحابه، فانْهَزَمُوا وقُتلَ منهم. وثبت المهلبُ، وأبلى ابنه المغيرةُ يومئذٍ بلاءً حَسَناً ظهرَ فيه أَثَرُهُ. وبات المهلبُ في ألفين، فلما أصبحَ رجعَ إليه بعضُ المنهزمةِ، فصار في أربعة آلافٍ، فخطبَ أصحابَه، فقال:

---

(١) الثغور: جمع ثغر، وهو الموضع الذي يكون حدًّا فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.

(٢) تَرَّحَ: أحزن.

(٣) لم تعتبوا: لم تُعْطوا العُتْبى، وهي الرضا، أي: إن لم ترضوني بصدقكم القتال.

(٤) تَمَّ على الأمر وتَمَّمَ عليه: استمرَّ عليه.

(٥) الفَلْجُ: الظَّفَرُ والفَوْزُ والنَّصْرُ.

«وا للهِ ما بكمْ من قِلّةٍ، وما ذَهَبَ عنكم إلاّ أهل الجُبْنِ والضَّعْفِ والطَّمَعِ والطَّبَعِ[١]، فإنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ[٢] مِثْلُه. فسِيرُوا إلى عَدُوّكم على بركةِ الله».

٥ ـ خطبةٌ للمهلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ الأزديِّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٦١٨

والكامل في التاريخ ٤: ١٩٩

وسرح العيون ص: ١٩٨

لَمّا هزمَ المهلبُ بنُ أبي صفرة الخوارجَ بسُولافَ تَحوَّلوا إلى سلّى وسِلّبْرَى من الأهواز، فتبعهم ونزل بإزائهم، واستعدَّ للقائهم. وحاول الخَوارج أن يُصيبوا منه غِرَّة، فلم يستطيعوا. فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تَعْبئتهم وأخماسهم ومواقفهم. وخرجت الخوارج، وهم أحسن عُدَّةً، وأكرمُ خيولاً، وأكثرُ سلاحاً من أهل البصرة، وذلك لأنهم مَخَرُوا الأرض وجَرَدُوها، وأكلوا ما بين كرْمان إلى الأهواز. فالتقى الناس فاقتتلوا كأشدِّ القتال، فصَبَرَ بعضهم عامة النهار. ثم إن الخوارج شَدَّت على الناس بأجمعها شَدَّةً منكرةً، فأجْفَلَ الناسُ، وانصاعوا منهزمين، حتى بلغت الهزيمةُ البصرةَ، وخاف أهْلُها السباء. وأسرع المهلبُ حتى سبق المنهزمين إلى مكانٍ مُرْتفعٍ، ثم نادى الناسَ: إليَّ عبادَ الله، فاجتمع إليه نحو من ثلاثةِ آلافٍ أكثرهم من قومه من الأزد. فلما رآهم رَضِيَ عِدَّتهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بَعْدُ،

«فإنَّ الله رُبَّما يَكِلُ[٣] الجمعَ الكَثِيرَ إلى أنْفُسِهِمْ فَيُهْزمون، ويُنْزِل النَّصْرَ على الجمعِ اليسير فَيَظْهَرُونَ. ولَعَمري ما بكم الآن من قِلَّةٍ، إنّي بجَماعتكم لراضٍ، وإنكم أنتم لأهلُ الصَّبْرِ، وفرسانُ أهلِ المِصْر. وما أُحِبُّ أنَّ أحداً ممن انهزم معكم، فإنهم لوْ كانُوا فيكم ما زادُوكم إلاّ خَبَالاً[٤]. عَزَمْتُ[٥] على كل امرئٍ منكم لَمّا أخذَ عشرةَ أحجارٍ

(١) الطَّبَع: الدَّنَس والعَيْبُ.

(٢) القَرْحُ: الجَرْحُ وعَضُّ السِّلاح ونَحْوُهُ مما يَجْرَحُ الجَسَدَ.

(٣) وَكَلَهُ إلى نَفْسِهِ: صَرَف أمْرَهُ إليها وكَلَّفها أنْ تقوم به، أي: تركه.

(٤) الخَبَالُ: الفَسَادُ.

(٥) عَزَم عليه لَمّا فعل كذا: أقْسَمَ. وعَزَمَ عليه: أمَرَهُ أمْراً جدًّا.

معه، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وقد خَرجتْ خَيْلُهم في طلبِ إخوانكم. فوا اللهِ إني لأرجو ألاَّ ترجعَ إليهم خيلُهم حتى تَستَبيحُوا[١] عسكرهم، وتَقْتُلوا أميرَهم».

٦ ـ خطبةٌ للمهلَّبِ بن أبي صُفْرَة الأزديِّ

الكامل للمبرد ٣: ٣١٥

وشرح نهج البلاغة ٤: ١٤٨

كان المهلب بن أبي صفرة، وهو يقاتل الخوارج بالأهواز، يُثُّ الأحراسَ في الأمْنِ كما يَبُثُّهم في الخَوْفِ، ويُذْكي العُيونَ في الأمصارِ كما يُذْكيها في الصَّحَارَى، ويأمرُ أصحابه بالتحرُّزِ، ويُخَوِّفُهم البَيَاتَ، وإنْ بَعُدَ منهم العَدُوُّ، ويقول: احْذَرُوا أنْ تُكادُوا كما تكيدُونَ، ولا تَقُولوا: هَزَمْناهم وغَلَبْناهم، فإن القوم خائفون وَجِلون، والضَّرورةُ تفتحُ بابَ الحِيلة. ثم قام فيهم خطيباً فقال:

«أيُّها الناسُ، إنَّكم قد عَرَفْتُم مذهبَ هؤلاءِ الخوارجِ، وأنهم إن قَدَرُوا عليكم فَتَنُوكم[٢] في دِينكم، وسَفَكُوا[٣] دماءَكم. فَقَاتِلُوهم على ما قاتلَ عليه أوَّلَهم عليُّ بن أبي طالبٍ، فقد لَقِيَهم قبلكم الصابرُ المحتسبُ مسلم بن عُبَيْس[٤]، والعَجِلُ المُفَرِّطُ عثمانُ بنُ عبيدِ اللهِ[٥]، والمَعْصِيُّ المُخَالَفُ حارثةُ بن بَدْرٍ[٦]، فَقَتَلُوا جميعاً وقُتِلُوا. فالْقَوْهُم بِجِدٍّ وحَدٍّ، فإنَّما هم مَهَنَتُكم[٧] وعَبِيدُكم، وعارٌ عليكم، ونَقْصٌ في أحْسَابكم وأديانِكم أنْ يَغْلِبَكم هؤلاءِ على فَيْئِكم، ويَطَؤوا حَرِيمَكم»!

---

(١) اسْتَباحُوا عسكرهم: استأصَلُوهم.

(٢) فَتَنَهُ في دِينِهِ: أضَلَّه عنه.

(٣) سفكَ دَمَهُ: أراقَهُ وأجْرَاهُ، أي: قَتَلَهُ.

(٤) لما أقبل نافع بن الأزرق نحو البصرة حتى دنا من الجسر لقيه مسلم بن عُبَيْس في جيش أهل البصرة، فَرَفعه عن أرض البصرة حتى بلغ مكاناً من أرض الأهواز، يقال له: دولاب، فقتلته الخوارج. (تاريخ الرسل والملوك ٥: ٦١٤).

(٥) تَسرَّع عثمان بن عبيد الله في قتال الخوارج بدولاب، فقتلوه وهزموا جيشه. (الكامل للمبرد ٣: ٣٠٧، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٦١٣).

(٦) تولّى حارثة بن بدر الغداني قيادة أهل البصرة بعد مقتل عثمان بن عبيد الله. فلما تفرق الناس عنه أقام بنهر تِيرَى، فعبرت إليه الخوارج، فهرب حتى أتى دجيلاً، فجلس في سفينة، واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه، والخوارج تلاحقهم، فماتوا جميعاً غرقاً بنهر دُجَيْل. (الكامل للمبرد ٣: ٣١٠).

(٧) المَهَنَة: جمع ماهنٍ، وهو الخادم.

٧ ـ خطبةٌ للمُهلَّبِ بنِ أبي صُفرَة الأزديِّ

الكامل للمبرد ٣: ٣٢٦

خطب المهلب بن أبي صفرة أصحابه يوماً وهو يقاتل الخوارج بالأهواز، فقال لهم:

«إنَّ هؤلاء الخوارجَ قد يَئِسُوا من ناحيتِكم إلاَّ من جهةِ البَيَاتِ[1]، فإنْ كانَ ذلك فاجْعَلوا شِعَارَكم «حم لا يُنْصَرون»، فإنَّ رسولَ ا للهِ ﷺ كان يأمُرُ بها».

٨ ـ خطبةٌ لِعَتَّابِ بن وَرْقَاءَ الرِّياحيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٢٦

والكامل للمبرد ٣: ٣٤٣

والكامل في التاريخ ٤: ٢٨٦

لما استَوْلَى الخوارج على الريِّ انحطُّوا إلى أصْبَهان، فحاصروها، وبها عَتَّابُ بن ورقاءَ اليَرْبُوعيُّ، فصبرَ لهم، وكان يقاتلهم على باب المدينة. ثم إن الخوارج أقامَتْ عليهم أشهراً حتى نَفِدَتْ أطْعِمتُهم، واشتدَّ عليهم الحصارُ، وأصَابَهم الجَهْدُ الشديدُ. فدعا عَتَّابُ بن ورقاءَ أصحابه، فحمد ا لله وأثْنى عليه، ثم قال:

«أمَّا بعد، أيّها الناس، فإنه قد أصابكم من الجَهْد ما قد تَرَون، فوا لله إن بقي إلا أن يموتَ أحدُكم على فِراشه فيجيءَ أخوه فيَدفِنه إن استطاع، وبالحرَى[2] أن يَضعُف عن ذلك، ثمَّ يموت هو فلا يجد من يَدفِنه، ولا يصلّي عليه. فاتّقوا ا لله، فوا لله ما أنتم بالقليل الَّذين تهُون شوكتُهم على عدوّهم، وإنّ فيكم لَفُرسانَ أهلِ المِصْر، وإنَّكم لصُلَحاءُ مَنْ أنتم منه! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القومِ وبكم حيَاة وقُوَّة، قبلَ ألاّ يستطيعَ رجلٌ منكم أن يمشي إلى عدوّه من الجَهْد، وقبلَ ألاّ يستطيعَ رجلٌ أن يمتنع من امرأة لو جاءتْه، فقَاتلَ رجلٌ عن نفسه وصبر وصدق، فوا لله إني لأرجو إنْ صَدقتموه أن يُظفركم ا لله بهم، وأن يُظهِركم عليهم».

---

(١) البيات: أن يُقْصَدَ العدُوُّ في الليل من غير أنْ يَعْلَمَ فيُؤخذَ بَغْتة.

(٢) الحَرَى: الجدير والخليق.

٩ ـ خطبةٌ لِعَتَّابِ بن وَرْقَاءَ الرِّياحيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٦٣
وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٦٦

وَجَّهَ الحجاجُ بن يوسف عَتَّابَ بنَ ورقاءَ لقتالِ شبيبِ بنِ يزيد الشيباني الخارجيِّ بالمدائن. فسار حتى نزل سُوقَ حَكَمَةَ بنواحي الكوفة، فخندق، وكان يُظْهِرُ كلَّ يوم أنه يريد أن يسير إلى شبيب بالمدائن. فبلغ ذلك شبيباً، فقال: أسيرُ إليه أحبُّ إليَّ من أنْ يسير إليَّ. فأتاه، وخرجَ عَتَّابٌ بالناس كلهم فعبَّأهم، ثم سار عَتَّابٌ بين المَيْمنة والميسرة يَمُرُّ بأهل رايةٍ رايةٍ، فَيحُثُّهم على تقوى الله، ويأمرُهم بالصَّبْرِ، ويقصُّ عليهم. وقد قَصَّ عليهم يومئذٍ قصصاً كثيراً منه قوله لهم:

«يا أهلَ الإسلام، إنّ أعظم الناس نصيباً في الجَنّة الشهداءُ، وليس الله لأحدٍ من خلقهِ بأحمَدَ منه للصّابرين. ألا تَرَون أنّه يقول: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦]! فمن حمد الله فعلَهُ فما أعظم دَرَجَتَهُ، وليس الله لأحد أمقَتَ منه لأهلِ البَغْيِ. ألا ترون أنّ عدوّكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه[١]، لا يرون إلاّ أنّ ذلك لهم قُرْبةً عند الله! فهم شِرار أهلِ الأرض، وكِلاب أهلِ النار».

١٠ ـ خُطْبَةٌ لعَبْدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ الأشْعَثِ الكِنْدِيِّ بِسجِسْتَانَ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٢٨
وأنساب الأشراف ٧: ٣١٠
والكامل في التاريخ ٤: ٤٤٥

وَلَّى الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ عبدَ الرحمنِ بنَ محمد بن الأَشْعَثِ بسجِسْتَانَ، وأمَرَهُ بمُحاربةِ رُتْبيلَ. فلما قَدِمَ ابنُ الأَشْعَثِ سجستانَ جَمَعَ أهْلَها، وصَعِدَ مِنْبَرَها، فحَمِدَ الله وأثْنَى عليه، ثمَّ قال:

«أيُّها الناسُ، إنَّ الأميرَ الحجَّاجَ ولاّني ثَغْرَكم[٢]، وأمَرَني بجهادِ عَدُوِّكم الذي اسْتَباحَ[٣] بلادَكم، وأبادَ[٤] خِيارَكم[٥]. فإيّاكم أنْ يَتخلّفَ منكم رجلٌ فيُحِلَّ بنَفْسِهِ العُقُوبَة. اخْرُجُوا إلى مُعَسْكَرِكُمْ فَعَسْكِرُوا به مَع الناس».

---

(١) يستعرض المسلمين بسيفه: لا يبالي مَنْ قَتَل منهم من أي وجهٍ أمكنه.
(٢) الثَّغْرُ: الموضعُ الذي يكونُ حَدًّا فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضعُ المخافة من أطراف البلاد.
(٣) استباح البَلَد: انتهبَهُ وسَبَى أهْلَهُ وبَنيهم.
(٤) أباد: أهلك.
(٥) الخيار: جمع خَيْرٍ وخَيِّرٍ، وهو الفاضل.

١١ـ خطبةٌ لسعيدِ بنِ المجالدِ الهَمْدَانيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٣٤

وجَّه الحجاجُ بنُ يوسفَ الجَزْلَ بنَ سعيدٍ الكِنْديَّ في فرسانِ أهْلِ الكوفةِ وَوُجوهِ الناسِ لقتال شبيب بن يزيد الشيبانيِّ. فَجَعَل يَتْبَعهم فلا يَسِيرُ إلاَّ على تَعْبئةٍ، ولا ينزلُ إلاَّ على خَنْدق. فَضَعَّفَهُ الحجاجُ وعَنَّفه، وبعث سعيدَ بنَ المجالدِ على ذلك الجيش، وعهد إليه إنْ لَقيت المارقَةَ فازحفْ إليهم، ولا تُنَاظِرْهم ولا تُطَاوِلْهُم، وَوَاقِفْهُم واسْتَعْن بالله عليهم. وأقبلَ الجزلُ في طلبِ شبيبٍ حتى انتهوْا إلى النَّهْروان، فأدْرَكوه فلزمَ عسكره، وخَنْدَقَ عليه. وجاء إليه سعيدُ بنُ المجالِد حتى دَخل عَسْكرَ أهلِ الكوفة أميراً، فقام فيهم خطيباً، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهلَ الكوفة، إنَّكم قد عَجَزْتُم ووَهَنتمْ وأغضَبتم عليكم أمِيرَكم. أنتم في طلب هذه الأعاريب العُجْف[1] منذ شهرين، وهم قد خرَّبوا بلادكم، وكسروا خراجكم، وأنتم حَاذِرُونَ في جَوْف هذه الخَنادق لا تُزَايلونَها إلاَّ أن يَبلُغَكم أنَّهم قد ارتَحَلوا عنكم، ونزلوا بلداً سوى بلدِكم. فاخْرُجُوا على اسمِ الله إليهم».

١٢ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاج بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٦٢

لَمَّا وَجَّه الحجاجُ بنُ يوسفَ عَتَّابَ بنَ وَرْقَاءَ الرِّياحيَّ لقتالِ شبيبِ بنِ يزيدَ الشَّيْبانيِّ بالمدائن، أقبلَ عَتَّابٌ حتى نَزَل سُوقَ حَكَمة بنواحي الكوفة، وقد أخْرَجَ إليه الحجاجُ جماعةَ أهلِ الكوفة. فَوافَى إليه أرْبَعُونَ ألفاً مِن مُقَاتِلَتِهم، وعشرةُ آلافٍ من شَبابِهم مِمَّن نَشِطَ إلى الخروج، فكانوا خمسين ألفاً، ولم يَدَعِ الحجاجُ قُرَشيًّا ولا رَجُلاً من بيوتاتِ العربِ إلاَّ أخرجه. وخطبَ الناسَ وهو على المنبر، فقال:

«يا أهل الكوفة، اخرُجوا مع عَتَّاب بنِ وَرْقاء بأجمَعكم، لا أُرَخِّص لأحد من الناس في الإقامة إلاّ رجلاً قد ولَّيناه من أعمالنا. ألا إنَّ للصابر المجاهدِ الكرامةَ والأثَرة[2]. ألا

---

(١) العُجْفُ: المهزولون.

(٢) الأثرة: التقدمة والمكانة الخاصة.

وإنَّ للناكل[١] الهارِبِ الهَـوانَ والجَفْوة. والَّـذي لا إلـه غيره لئن فعلتـم في هـذا الموطـنِ كفِعلِكم في المَواطنِ التي كانت لأولِيِّكم كنفاً[٢] خَشناً، ولأعْرُكنَّكم[٣] بِكَلكَلٍ[٤] ثقيل».

١٣ ـ خطبةٌ للحجَّاج بنِ يوسفَ الثَّقَفيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٦٩

والكامل في التاريخ ٤: ٤٢٦

وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٧٠

لَمَّا دَخَلَ شبيبُ بنُ يزيدَ الشَّيْبانيُّ الكوفةَ أقام في عَسْـكَرِهِ ثلاثـة أيـامٍ، ثـم نَـزَلَ السَّـبْخَةَ، وابْتَنى بها مَسْجداً. فلمَّا كان اليوم الثالث خرجَ الحجاجُ ارتفـاعَ النَّهـارِ مـن القَصْـر، فركـبَ بَغْلاً إلى السَّبْخةِ ومعه أهلُ الشام. فلمَّا رأى شبيباً نَزَل، وكان شبيبٌ في ستمائة فارسٍ، فـأقبلَ نحوَ الحجَّاجِ. وجعل الحجاجُ أحـدَ قادتـه على أفْـواهِ السِّـكَكِ في جَماعـةٍ مـن النـاسِ، ودعـا الحجاجُ بكرسيٍّ له فَقعدَ عليه، ثم نادى:

«يا أهلَ الشامِ، أنتم أهلُ السَّمع والطاعـةِ والصَّـبرِ واليَقـينِ. لا يغلبنَّ بـاطلُ هـؤلاء الأرجاس[٥] حقَّكم، غُضُّوا الأبصـارَ، واجثُـوا علـى الرُّكَـبِ، واسـتقبلوا القـومَ بـأطرافِ الأسِنَّة».

١٤ ـ خُطْبَةٌ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ يَوْمَ الزَّاويةِ

أنساب الأشراف ٧: ٣٢٦

خَرَجَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ إلى ابنِ الأشْعَثِ ومَنْ مَعه مِنْ أهْلِ العِراقِ يَـوْمَ الزَّاويـةِ، وعلى مَيْمنتهِ سُفْيانُ بنُ الأبْرَدِ الكلبيُّ، وعلى مَيْسَرتِهِ أيُّوبُ بـنُ الحكَـم بِـنِ أبـي عَقيـلٍ الثَّقفيُّ، فقالَ الحجَّاجُ لأصْحَابِهِ:

---

(١) الناكل: الجبان الضعيف.

(٢) الكنف: الجانب.

(٣) عركه: طحنه.

(٤) الكلكل: الصدر.

(٥) الأرجاس: جمع رِجْسٍ، وهو الرجل النَّجِس.

«يا أهْلَ الشَّام، إنَّكم على الحَقِّ، فاصْبِرُوا صَبْرَ المُحِقِّ[١]، فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مع الحَقِّ، والنَّاكِثُ[٢] المُبْطِل[٣] أوْلَى بالفَرارِ».

١٥ ـ خطبةٌ لقُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ الباهليِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٢٤

وَلَّى الحجاجُ بنُ يوسفَ قتيبةَ بن مسلم الباهليَّ على خراسان، فقدمها سنة ستٍّ وثمانين والمفضَّلُ بن المهلب يَعْرِضُ الجُنْدَ، وهو يريد أن يغزوَ أخْرُونَ وشُومانَ من بلادِ ما وراء نهر جَيْحُونَ. فخطبَ قتيبةُ الناسَ، وحَثَّهم على الجهاد، وقال:

«إنَّ الله أحلَّكم هذا المَحلَّ ليُعزَّ دينَه، ويذبَّ بكم عن الحُرُمات[٤]، ويزيد بكم المال استفاضة، والعدوّ وَقَماً[٥]. ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق، وكتاب ناطق، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[الصف: ٥٢]. ووعد المجاهدين في سبيله أحسنَ الثواب، وأعظَمَ الذُّخْر[٦] عنده، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، إلى قوله: ﴿أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠ ــ ١٢١]. ثم أخبر عمن قُتِل في سبيله أنه حيٌّ مرزوق، فقال: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. فتنجَّزوا[٧] موعودَ ربِّكم، ووطِّنوا أنفسَكم على أقصَى أثر وأمضَى ألم، وإيّاي والهُوَينى[٨]».

---

(١) أحَقَّ الرَّجُلُ فهو مُحِقٌّ: قَالَ حَقًّا وادَّعاه.

(٢) نكثَ البَيْعَةَ فهو ناكثٌ: نَقَضَهَا.

(٣) أبْطَلَ فلانٌ فهو مُبْطِلٌ: جاء بالباطل.

(٤) الحرمات: جمع حرمة، وهي الحق والذِّمة، أي: العَهْدُ الذي يَلْزَمُ الذِّمُّ مُضَيِّعَه.

(٥) الوقم: الذل والقهر.

(٦) الذُّخْر والذخيرة: هو ما ادَّخرته وخَبَّأته لوقت حاجته.

(٧) تَنَجَّزَ الوَعْدَ: سأل إنجازه وقضاءه.

(٨) الهوينى: التؤدة والرفق، والمراد التَّباطؤ والتَّثاقل.

١٦ ـ خطبةٌ لِقُتَيْبةَ بن مُسْلمٍ الباهليِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٧٢
والكامل في التاريخ ٤: ٥٧١

لَمَّا قَبَضَ قتيبةُ بنُ مسلمٍ صُلْحَ صاحبِ خُوارزْمَ سنة ثلاث وتسعين، قام إليه المُجشِّرُ بنُ مُزاحمٍ السُّلَميُّ، فقال له سِرًّا: إنْ أرَدْتَ الصُّغْدَ[1] يوماً من الدَّهْرِ فالآن، فإنهم آمِنُونَ من أنْ تأتِيَهم عامَكَ هَذا، وإنما بينكَ وبينهم عشرةُ أيام. قال: أشارَ عليك بهذا أحدٌ؟ قال: لا. قال: فأَعْلَمْتَهُ أحداً؟ قال: لا. قال: والله لئن تكلَّم به أحدٌ لأضْرِبَنَّ عُنُقَك!

فلما كان الغَدُ أمَرَ أخاه عبد الرحمن، فسار في الفُرْسان والرُّماةِ، وقَدَّم الأثقالَ إلى مَرْوَ. فسَارَ يومَهُ، فلما أمْسَى كتب إليه قتيبةُ: إذا أصْبَحْتَ فوجِّهِ الأثقالَ إلى مَرْوَ، وسِرْ بالفرسان والرُّماةِ نَحو الصُّغْدِ، واكْتِمِ الأخبارَ، فإني بالأَثر. فَفعَلَ عبدُ الرحمن ما أمَرَهُ، وخَطَبَ قتيبةُ النَّاسَ، فقال:

«إن الله قد فَتَح لكم هذه البلدة[2] في وقتِ الغَزْوُ فيه ممكن، وهذه السُّغد شاغرَةٌ برِجْلها[3]، قد نَقَضوا العَهْد الذي كان بيننا، منعونا ما كنّا صالحْنا عليه طرخون[4]، وصَنعوا به ما بَلَغكم، وقال الله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]. فسِيرُوا على بَركة الله، فإنّي أرجو أن يكون خَوارزم والسُّغْد كالنَّضير وقُرَيظة، وقال الله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١]».

---

(١) قال أبو عبيدة: «السُّغْدُ يقال: بالسِّين والصاد». (نقائض جرير والفرزدق ١: ٣٥٦).

(٢) هذه البلدة: يريد خوارزم.

(٣) يقال: بلدة شاغرة برجلها: إذا لم تَمْتَنِعْ من غارة أحد.

(٤) كان طَرْخُونُ ملكُ الصُّغْدِ صالح قتيبةَ بنَ مسلمٍ على شيءٍ سنة إحدى وتسعين، فقبضه أخوه عبد الرحمن، وانصرفَ إلى قُتَيْبَةَ ببخارى، فرجعوا إلى مَرْوَ. فقالت الصُّغْدُ لطرخون: إنك قد رضيت بالذلِّ، واستطبتَ الجزية، وأنت شيخ كبير، فلا حاجة لنا فيك. فحبسوه، وَوَلَّوْا غَوْزَك، فقتلَ طرخون نفسه. (تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٦٣، والكامل في التاريخ ٤: ٥٥٣).

١٧ ـ خُطْبَةٌ لِقُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ الباهليِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٢٣٥

كانَ قتيبةُ بنُ مُسْلِمٍ إذا غَزَا حَضَّ النَّاسَ على الصَّبْرِ، ونَهاهُمْ عن الغُلُولِ[١]، وقال:

«إيَّاكُمْ والحِرْصَ[٢] وطماحَ[٣] الأبْصار، واظْلِفُوا[٤] أنْفسَكُمْ عن المَحارِمِ[٥]. فإنَّ أفْلَحَ[٦] النَّاسِ حُجَّةً[٧] أغْلَبُهُمْ[٨] لِلْحِرْصِ والشَّهْوَةِ[٩] ».

١٨ ـ خُطْبَةُ طارقِ بنِ زيادٍ في فَتْحِ الأنْدَلُسِ

وفيات الأعيان ٥: ٣٢١

ونفح الطيب ١: ٢٤٠

كان موسى بنُ نُصَيرٍ اللَّخْمِيُّ والياً على إفريقية والمغرب للوليد بن عبد الملك. فلما بسط سلطانه على المغرب، وخَضَع له أهلُها، فكَّرَ في فتح الأندلس. وكان مولاه طارق بن زياد[١٠] بطَنْجةَ، وكان من قادته المغاوير، فأمره أنْ يغزوَ الأَنْدَلُسَ في جيشٍ من البربر ليس فيهِ من العرب إلاَّ قَدْرٌ يسيرٌ، فَعَبَر بهم البحر، وقَصَد إلى جبلٍ مُنِيفٍ مُتَّصِلٍ بالبَرِّ فنزله. وبلغَ خَبرُهُ لُذْريقَ ملكَ القُوط، وكان في غزاةٍ له، فرجع منها، وأقْبَلَ في جيشٍ كثيفٍ لمحاربته. فخاف طارق أن يَسْتَبدَّ الرُّعْبُ بأصحابه لِقلَّتهم وكثرة عَدُوِّهم، فأحْرَق السُّفُنَ التي حَملتهم، حتى يَسْتَيْئِسُوا من العَوْدةِ، ويَسْتَبْسِلُوا في القتال. وقام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وحَثَّهم على الجِهادِ، ورَغَّبهم في الشهادة، ثم قال:

---

(١) الغُلُول: الخيانَةُ في المَغْنَمِ والسَّرِقَةُ من الغنيمة.

(٢) الحِرْصُ: الجَشَع وشِدَّةُ الإرادةِ والشَّرَهُ إلى المَطْلوب.

(٣) طمَح ببَصَره: رَمَى به إلى الشيء، أي: تطلع إليه وأحَبَّه وتَعَلَّقَ به.

(٤) ظَلِّفْ نَفْسَكَ: كُفَّها عما لا يَحْمُلُ. وظَلَّفَ نَفْسَهُ عن الشيء: مَنَعَها من أنْ تَفْعَلَهُ أو تَأتِيَهُ.

(٥) المحارم: ما لا يَحِلُّ لك اسْتِحْلالُهُ.

(٦) الفَلَحُ: الفَوْزُ والنَّجاةُ والبَقاء في النَّعيم والخَيْرِ.

(٧) الحُجة: القَصْد.

(٨) أغْلَبُهم لِلْحِرْص: أقْهَرُهم له وأكثرهم انتصاراً عليه، أي: أشَدُّهم تَجَرُّداً منه وابتعاداً عنه.

(٩) الشهوة: مَحَبَّةُ الشيءِ والرَّغبةُ فيه.

(١٠) انظر ترجمة طارق بن زياد في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٤١ وسير أعلام النبلاء ٤: ٥٠٠.

«أيها الناس، أين المفرُّ والبحرُ من ورائكم، والعدو أمامكم؟ فليس لكم والله إلا الصدق[١] والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيعُ من الأيتام في مآدب[٢] اللئام، وقد استقبلكم عدوُّكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وَزَر[٣] لكم غير سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهبت ريحكم[٤] وتَعوَّضَتِ[٥] القلوبُ بِرُعْبِها منكم الجراءةَ عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجَزة[٦] هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته المحصنة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم[٧] للموت. وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة[٨]، ولا حملتكم على خطة أرخصُ متاع فيها النفوسُ أرْباً[٩] فيها بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً، استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً. فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فيما حظكم فيه أوفر من حظي. وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور[١٠] الحسان من بنات اليونان الرافلات[١١] في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان[١٢]، المقصورات[١٣] في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عزْباناً[١٤]،

---

(١) الصدق: أي: الإقدام على العدو، والثبات في اللقاء، والجِدُّ في القتال.

(٢) المآدب: جمع مأدبة، وهي الطعام يُصْنَعُ لِدَعْوةٍ أو عرسٍ.

(٣) الوزر: الملجأ.

(٤) ذهبت ريحكم: زالت غَلَبَتُكُم وقُوَّتكم ودولتكم.

(٥) تَعوَّضَت: تَبدَّلت.

(٦) المناجزة: المبارزة.

(٧) سَمَحَ بنفسه: جاد بها.

(٨) النجوة: المكان المرتفع، والمراد أنه ليس بعيداً مما يحذرهم، ولا بريئاً سَالِماً منه.

(٩) أرباً بنفسي: أرْتفع بها عنكم، وأتَنَحَّى عن مشاركتكم.

(١٠) الحُورُ: جمع حوراء، وهي الفتاة شديدة سواد العين شديدة بياضها.

(١١) الرافلات: جمع رافلة، وهي التي تَجُرُّ ذيلها وتَتبختر في مشيتها.

(١٢) العقيان: الذهب.

(١٣) المقصورات: المُخَدَّرات المَخْبُوءات.

(١٤) العُزْبان: جمع عزيب، وهو من لا زوجة له.

ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً[١] وأختاناً[٢]، ثقة منه بارتياحكم للطعان، وإسْماحكم[٣] بمجالدة[٤] الأبطال والفرسان، ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، ويكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم، والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق، فقاتله إن شاء الله تعالى. فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولن يعوزكم[٥] بطل عاقل تسندون أمركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا المهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون».

(١) الأصهار: جمع صِهْرٍ، وهو زوج بنت الرجل، وزوج أخته.

(٢) الأختان: جمع خَتَن، وهو الصهر، أو كل من كان من قِبَل المرأة كالأب والأخ.

(٣) الإسْمَاحُ: المُتَابَعةُ والانْقيادُ، يقال: أسْمَحَتْ نَفْسُه، أي: أطاعَتْ وانْقَادَتْ.

(٤) المجالدة: المُضَاربةُ بالسيف.

(٥) أعْوَزَهُ الشيءُ: عَسُرَ عليه وأعْجَزَهُ على شدَّةِ حاجتِهِ إليه.

(٢) خُطَبٌ حَرْبيّةٌ خارِجيّةٌ

١ ـ خُطْبةٌ للزُّبَيْرِ بن عَليٍّ السَّليطيِّ اليَرْبُوعيِّ

الكامل للمبرد ٣: ٣٣٠

وشرح نهج البلاغة ٤: ١٥٦

استخلفَ نافعُ بن الأزرقِ الحَنفيُّ على الخوارج قبلَ قَتْلِهِ عبيدَ الله بن بشير بن الماحوز السَّليطي، فَقُتِلَ ابنُ الماحوزِ يوم سِلّى وسِلَّبْرَى بالأهواز. فاجتمعت الخوارج بأرَّجان بين شِيرازَ والأهوازِ، فبايَعُوا الزبيرَ بن علي، فرأى فيهم انكساراً شديداً، وَضَعْفاً بيِّناً، فقال لهم: اجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على محمدٍ ﷺ، ثم أقبل عليهم، فقال:

«إنَّ البلاءَ[١] للمؤمنين تَمْحيصٌ[٢] وأجرٌ، وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخِزْيٌ[٣]. وَإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلفَ، وقد أَصبتُم منهم مُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ، ورُبيعاً الأجْذَمَ، والحجَّاج بنَ بابِ[٤]، وحارِثَةَ بنَ بدرٍ[٥]، وأَشْجَيْتُمُ المهلبَ، وقتلتم أَخَاهُ المُعَارِكَ[٦]. والله يقولُ لإخوانكم من المؤمنين: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ

---

(١) البلاء: الاختبار والامتحان.

(٢) التَّمحيص: التَّخليص من الذنوب.

(٣) الخزي: الهوان والفضيحة.

(٤) لما اشتدت شوكة نافع بن الأزرق الحنفي وكثرت جموعه، أقبل نحو البصرة، فبعث إليه عبد الله بن الحارث والي البصرة لعبدِ اللهِ بنِ الزبير مُسْلِمَ بنَ عبيسٍ، فَرَفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دولاب من أرض الأهواز، فاقتتلوا فَقُتِلَ مسلمُ بنُ عبيسٍ وقُتِلَ نافعُ بن الأزرق. فأمَّر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري، وأمَّرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمي. فاقتتلوا فقتل الحجاج وعبد الله. فأمَّر أهل البصرة عليهم ربيعة الأجْذم التميمي، وأمَّرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمي ثم عادوا إلى القتال، فَقُتِلَ ربيعة، وانهزم أهل البصرة. (تاريخ الرسل والملوك ٥: ٦١٣، والكامل في التاريخ ٤: ١٩٤).

(٥) تولى حارثة بن بدر الغُداني قيادة أهل البصرة بعد مقتل عثمان بن عبيد الله. بدولاب. فلما تفرق الناس عنه أقام بنهر تِيرَى، فمرت إليه الخوارج. فهرب حتى أتى دجيلاً، فجلس في سفينةٍ واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه، والخوارج تلاحقهم، فماتوا جميعاً غَرَقاً بنهر دجيل. (الكامل للمبرد ٣: ٣١٠).

(٦) قتل الخوارج المعارك بن أبي صفرة بنهر تِيرَى. الكامل للمبرد (٣: ٣١٦).

وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠]. فَيَوْمٌ سِلْمٌ كان لكم بلاءً وتمحيصاً، ويوم سُولافَ كان لهم عُقوبةً ونَكالاً. فلا تُغْلَبُنَّ على الشُّكْرِ في حِينِهِ، والصَّبْرِ في وقتِهِ، واتقُوا بأنكم المستَخْلَفون في الأرضِ، والعاقبةُ للمتَّقين».

٢ـ خطبةٌ لصالحِ بنِ مُسَرِّحٍ التَّميميِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٢٠

وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٢٨

لما أراد صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ الخُروجَ بِدَارا من أرضِ الجزيرة، جمع أصحابه، فقال لهم ليلةَ خرج:

«اتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، ولا تَعْجَلُوا إلى قِتالِ أحدٍ من النَّاس إلاَّ أن يكونوا قوماً يُريدُونكم، ويَنصِبُونَ[١] لكم، فإنكم إنما خَرَجْتُمْ غَضَباً للهِ حيث انْتُهِكتْ محارِمُه، وعُصِيَ في الأرض، فَسُفِكَتِ الدماءُ بِغَيْرِ حِلِّها[٢]، وأُخِذَتِ الأموالُ بغيرِ حَقِّها. فلا تَعيبُوا على قَومٍ أعمالاً ثم تَعْمَلُوا بها، فإنَّ كلَّ ما أنتم عامِلُونَ أنتم عنه مَسْؤُولونَ، وإنَّ عُظْمَكُمْ رَجَّالةٌ، وهذه دَوَابُّ لمحمدِ بنِ مروانَ في هذا الرُّسْتَاقِ[٣]، فابْدؤوا بها، فَشُدُّوا عليها، فاحْمِلُوا أراجِلكم[٤]، وتَقَوَّوا بها على عَدُوِّكم».

٣ ـ خطبةٌ لِشَبيبِ بنِ يزيدَ الشَّيبانيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٦٢

وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٦٥

لَمَّا بلغَ شبيبَ بنَ يزيدَ أنَّ الحجَّاجَ بنَ يوسفَ وَجَّه إليه عَتَّابَ بنَ وَرْقَاءَ الرِّياحيَّ في أهلِ الكوفة، عَرَضَ شبيبٌ أصْحَابَهُ بالمدائنِ، فكانُوا ألفَ رَجُلٍ، فقام فيهم، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) نَصَبَ له: قَصَدَ له وعاداه وتَجرَّد له.

(٢) الحِل: الحلال نقيض الحرام.

(٣) الرستاق: السواد، وهو ما حول المدينة من القرى والريف.

(٤) الأراجل والأراجيل: الرَّجَّالة جمع راجل، وهو خلاف الفارس.

«يا معشرَ المسلمين، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم، وأنتم مائة ومائتان، وأكثر من ذلك قليلاً، وأنقصُ منه قليلاً. فأنتم اليومَ مئون ومئون، ألا إني مُصلٍّ الظهرَ، ثمَّ سائِر بكم».

٤ ـ خُطْبَةٌ لِشَبيب بنِ يَزيدَ الشَّيبانيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٧٠

وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٧١

لَمَّا دخلَ شبيبُ بن يزيد الكوفة قَاتَلَهُ الحجاج وأهلُ الشام قتالاً شديداً، وثَبَتُوا له، ولم يزالوا يُطاعِنُونه حتى أَلْحَقُوهُ بأصحابه، فقال لهم يومئذٍ:

«يا أهْلَ الإسْلامِ، إنَّما شَرَيْنَا[١] للهِ، ومَنْ شَرَى للهِ لم يَكْبُرْ[٢] عليه ما أصابَهُ من الأذَى والأَلَمِ في جَنْبِ[٣] اللهِ. الصَّبْرَ الصَّبْرَا شَدَّةً[٤] كشَدَّاتِكم في مَواطِنكم[٥] الكريمةِ»!

٥ ـ خطبةٌ لِعَبْدِ رَبِّهِ الصَّغير

الكامل للمبرد ٣: ٣٩٦

لَمَّا حَاصَرَ المُهلَّبُ بنُ أبي صُفْرَةَ عَبْدَ ربِّه الصغير ومن أقام معه من الأزارقةِ بمدينة جيرفت من كِرْمان، واشتدَّ الحصارُ على عَبْدِ رَبِّه، قال لأصحابه:

«لا تَفْتَقِرُوا[٦] إلى مَنْ ذَهب عنكم من الرِّجال، فإنَّ المسلمَ لا يَفْتَقِرُ مع الإسلامِ إلى غيره، والمسلمُ إذا صَحَّ توحيدُه عزَّ بربه. وقد أَرَاحَكم الله من غِلْظَةِ قطَريٍّ، وعَجَلَةِ صالح بن مِخْراقٍ ونَخْوتِهِ[٧]، واختلاطِ[٨] عَبيدةَ بنِ هلالٍ، ووَكَلَكم[٩] إلى بَصائرِكم[١٠].

---

(١) شَرَى نفسَهُ لله تعالى: باعها.

(٢) كبر عليه الأمر: ثَقُلَ وشَقَّ وعَظُمَ.

(٣) في جنب الله: أي: في جانبه وفي حَقِّه، وقيل: في قُرْبِهِ وجواره.

(٤) شدَّ على العَدُوِّ شَدَّةً: حملَ عليه حَمْلَةً.

(٥) المواطن: جمع مَوْطِنٍ، وهو المشهدُ من مشاهدِ الحرب.

(٦) افتقر إلى الشيء: احتاج إليه.

(٧) النَّخْوَةُ: العَظَمَةُ والكِبْرُ والفَخْرُ.

(٨) الاختلاط: اختلالُ العَقْلِ وفساده.

(٩) وَكَلَهُ إلى بَصيرته: صَرَفَهُ إليها وأمَرَهُ بالاعتماد عليها، أي: تركه.

(١٠) البصائر: جمع بَصيرةٍ، وهي الفِطْنَةُ.

فالقَوْا عَدُوَّكم بصبرٍ ونيةٍ، وانتقلوا عن منزلكم هذا. مَنْ قُتِلَ منكم قُتلَ شهيداً، ومَنْ سَلم من القَتْلِ فهو المحرومُ».

٦ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ رَبِّه الصَّغير

الكامل للمبرد ٣: ٤٠١

لَمَّا كانت الليلةُ التي قُتِلَ في صَبيحَتها عَبْدُ رَبِّه الصغيرُ، جَمَعَ أصحابَهُ، وقال:

«يا مَعْشَرَ المُهَاجرينَ، إنَّ قَطَرِيًّا وعَبيدَةَ هَرَبَا طَلَبَ البَقاء، ولا سبيلَ إليه. فَالْقَوْا عَدُوَّكم، فإنْ غلَبُوكم على الحياةِ، فلا يَغْلُبُنَّكم على الموتِ. فَتَلَقَّوا[1] الرِّماحَ بِنُحُوركم، والسُّيوفَ بِوُجُوهِكم، وهَبُوا أَنْفُسَكم لله في الدُّنيا يَهَبْها لكم في الآخرة».

٧ ـ خطبة لأبي حَمْزةَ المختارِ بنِ عَوْفٍ الأزديِّ

الأغاني ٢٣: ٢٣٢

لَمَّا بلَغَ أبا حمزة الشاري إقبالُ أهل المدينة إليه استخلفَ على مكةَ إبراهيمَ بنَ الصَّبَّاح، وشَخَص إليهم وعلى مُقَدِّمته بَلْجُ بنُ عقبة. فلما كان في الليلة التي وَافَاهُم في صَبيحَتها، وأهْلُ المدينةِ نُزُولٌ بِقُدَيدٍ، قال لأصحابه:

«إنْكم لاقُوا قَوْمِكم غداً، وأميرُهم فيما بَلَغَني ابنُ عثمانَ[2] أوَّلُ مَنْ خَالَفَ سِيرةَ الخلفاء، وبَدَّلَ سيرةَ رسولِ الله ﷺ، وقد وَضَحَ[3] الصُّبْحُ لذي عَيْنَيْنِ. فأكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ تعالى، وتِلاوةَ القرآنِ، ووَطِّنُوا أنْفُسَكم على الصَّبْرِ».

---

(١) تَلَقَّى الرُّمْحَ بِنَحْرِهِ: اسْتَقْبَلَهُ به وعَرَّضه له.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان صاحب الجيش بقديد، استعمله عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك والي المدينة لمروان بن محمد. (تاريخ الرسل والملوك ٧: ٣٩٣).

(٣) وضح: ظهر وبان.

(٣) خُطَبٌ حَرْبيّةٌ شيعيّةٌ وزُبَيْريّةٌ

١ ـ خطبةٌ للمختار بنِ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٩٥

لَمَّا بلغَ المختارَ بنَ أبي عُبَيْدٍ مَسِيرُ مُصْعَبِ بن الزبير إليه من البصرة قام في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهل الكوفة، يا أهلَ الدّين، وأعوانَ الحقّ، وأنصارَ الضعيف، وشيعةَ الرّسول، وآل الرسول، إنّ فُرّارَكم الذين بَغَوا عليكم أتوا أشباهَهم من الفاسقين فاستغوُوهم[١] عليكم ليمصَح[٢] الحق، وينتعش الباطل، ويقتل أولياء الله. والله لو تهلكون ما عُبِد الله في الأرض إلاّ بالفَرْيِ[٣] على الله، واللعن لأهل بيت نبيّه. انتدبوا[٤] مع أحمر بن شُمَيط[٥]، فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قَتْلَ عادٍ وإرَمٍ[٦]».

٢ ـ خطبةٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٩١

والكامل في التاريخ ٤: ٣٥٥

وشرح نهج البلاغة ٢٠: ١٢١

لَمَّا كان صَبيحةُ اليوم الذي قُتِلَ فيه عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ، صلَّى بأصحابه الفجر، ثم قام في أهله وأصحابه، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) اسْتَغْوَاهُ: أضله وأفسده.

(٢) يمصح: يذهب.

(٣) الفَرْي: اختلاق الكذب.

(٤) انتدب: خف وأسرع.

(٥) كان أحمرُ بن شميط البجلي من غلاة الشيعة من أصحاب المختار بن أبي عبيد، وقد قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة سبع وستين. (تاريخ الرسل والملوك ٦: ٩٧).

(٦) قَتْلَ عادٍ وإرم: أي: أبَدْتُمُوهم كما باد قوم عادٍ وإرم.

«يا آل الزبير، لو طِبْتم لي نَفْساً عن أنفسكم كنّا أهلَ بيت من العرب اصطُلِمْنا[١] في ا لله لم تصبْنا زبّاءُ[٢] بتّة[٣]. أمّا بعد يا آل الزبير، فلا يرُعْكم وقعُ السيوف، فإني لم أحضر موطناً قطّ إلاّ ارتثِثْتُ[٤] فيه من القتل، وما أجدُ من أدواء جراحها أشدّ ممّا أجد من ألمِ وقعِها. صونوا سيوفَكم كما تصونون وجوهَكم. لا أعلم امرأً كَسَر سيفَه، واستَبقَى نفسَه، فإنّ الرجلَ إذا ذهب سلاحُه فهو كالمرأة أعزل. غُضوا أبصارَكم عن البارقة[٥]، وليَشْغَلْ كلّ امرء قِرْنَه، ولا يُلهينّكم السؤالُ عنّي، ولا تقولُنّ: أين عبدُ ا لله بنُ الزبير؟ ألا من كان سائلاً عنّي فإني في الرَّعِيل[٦] الأوّل[٧].

أَبَــى لابــنِ سَــلْمَى أنّــهُ غــيرُ خــالِدٍ ... مُلاقــي المنايــا أيَّ صَــرْفٍ تيمَّمَــا[٨]

فلَسْــتُ بمُبتــاعِ الحَيــاة بسُــبَّةٍ ... ولا مُرتَــقٍ مِــنْ خَشْــيَةِ المــوتِ سُــلَّمَا[٩]

احمِلوا على بركة ا لله».

---

(١) اصْطُلِمَ: استُؤْصِلَ.

(٢) الزباء: الداهية الشديدة.

(٣) يقال: لا أفعله بتة، ولا أفعله البَتَّةَ: لكل أمر لا رجعة فيه، ونَصْبُهُ على المصدر، أي: المفعول المطلق.

(٤) ارتُثّ: حُمِلَ من المعركة جريحاً وبه رَمَقٌ.

(٥) البارقة: السيوف.

(٦) الرعيل: القطعة من الخيل القليلة.

(٧) البيتان للحُصَيْنِ بنِ الحُمامِ المريّ. (المفضليات ص: ٦٩).

(٨) سلمى: أمه أوجَدَّته، وأراد بابنِ سلمى نفسه. وأي صرفٍ تيمَّم: أي جهةٍ قصد. يريد أنه أبى أن يحتمل الذُّل والعار، وأنه غير باقٍ، وأنه ملاقي المنايا.

(٩) لست بمبتاع الحياة بسبة: أي: لا أشتري الحياة بما أُسَبُّ عليه. ولا مُرتَقٍ من رهبة الموت سُلَّما: أي: لا أطلب النجاة من الموت، فلا مهرب منه. فمن علم أنه ميتٌ لا محالة لم يحتمل المَذَلّة.

(٤) خُطَبٌ حَرْبيّةٌ لثُوّارِ أشرافِ العَرَبِ وأنْصارِهم

١ ـ خطبةٌ لعبدِ اللهِ بن حَنْظلةَ الغَسيلِ الأنصاريِّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٩٠
وأنساب الأشراف ٤: ٢: ٣٦
والكامل في التاريخ ٤: ١١٦

لَمّا رأى عبدُ اللهِ بنُ حَنْظلةَ الغسيل جُنْدَ أهل الشام يمشون تحت راياتهم نحوه يوم الحَـرة، قام في أصحابه، فقال:

«يا هؤلاء: إن عدوّكم قد أصابوا وَجْهَ[1] القتال الذي كان ينبغي أن تقاتلوهم به. وإني قـد ظننت ألاّ تَلْبَثُوا إلا ساعةً، حتى يَفْصِلَ اللهُ بينكم وبينهم، إمّا لكم وإمّا عليكـم. أمَـا إنكـم أهـلُ البَصيرَة[2] ودارِ الهجرة! واللهِ ما أظن ربَّكم أصبح عن أهل بلد من بُلْدَانِ المسلمين بأَرْضَى منـهُ عنكم، ولا على أهل بلد من بُلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القـوم الذيـن يقـاتلونكم. إن لكل امرئ منكم ميتةً هو ميتٌ بها، واللهِ ما من ميتة بأفضلَ من مِيتةِ الشَّـهادة، وقـد سـاقها اللهُ إليكم. فاغتنِموها، فواللهِ ما كلما أردتموها وجدتموها».

٢ ـ خُطْبةٌ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ مُحمَّدِ بنِ الأشْعَثِ الكِنْدِيِّ

أنساب الأشراف ٧: ٣٢٥

لَمّا خَنْدَقَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ على عَسْكَرِهِ بالزَّاويةِ، وجَعلتِ الرِّجـالُ تأتيـهِ على البَريدِ والإبلِ والدَّوابِ، قال الحَريشُ بنُ هلالٍ السَّعْديُّ لابنِ الأشْعَثِ: علامَ تَدَعُ الحَجَّاجَ يأتيهِ كلَّ يومٍ مَدَدٌ من أهل الشَّام؟ عاجلْهُ قبلَ أنْ يَكْثُرَ جَمْعُهُ، فقال ابنُ الأشْعَثِ لأصحابِهِ:

«إنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ قد جَمَعَ كلمتَكم، وأعَزَّ دَعْوَتكم. فَاخْرُجُوا إليهم، فجاهِدُوهم[3] علـى اسمِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ».

---

(١) أصابَ وَجْهَ القتال: أحْسَنَ التَّدْبيرَ في الحربِ، يقال في حُسْنِ التَّدْبيرِ: ضَرَبَ وَجْهَ الأمرِ وعَيْنَهُ.
(٢) البَصيرَةُ: عَقيدَةُ القَلْبِ، أي: ما اعْتُقِدَ في القلب من الدين وتحقيق الأمر. والبصيرةُ: المعرفة واليقين.
(٣) جاهَدَ العَدُوَّ: قَاتَلَهُ. والجهادُ: محاربَةُ الأعداء، وهو المبالغةُ واسْتِفْراغُ ما في الوُسْعِ والطاقةِ من قولٍ أو فعلٍ.

٣ ـ خُطْبَةٌ لسعيد بنِ جُبَيْرٍ الأَسَديِّ

طبقات ابن سعد ٦: ٢٦٥
وأنساب الأشراف ١٣: ٣٧١
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥٨

كان سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ يقولُ يَوْمَ دَيْرِ الجَماجم، وهو يُقَاتِلُ الحجَّاجَ بنَ يُوسُفَ مع عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث الكِنْديِّ:

«قاتِلُوهم على جَوْرِهم في الحُكْمِ، وخُرُوجِهِمْ من الدينِ، وتَجَبُّرِهم[١] على عِبادِ اللهِ، وإماتَتِهم[٢] الصَّلاةَ، واسْتِذْلالِهم[٣] المُسْلِمينَ».

٤ ـ خُطْبَةٌ لِعامِرِ بنِ شُرَاحِيلَ الشَّعْبِيِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٧١
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥٧
والكامل في التاريخ ٤: ٤٧٨

قال الشَّعْبِيُّ يومَ دَيْرِ الجَماجمِ، وهو يُقَاتِلُ:

«أيُّها النَّاسُ، لا يَكُونَنَّ في صُدُورِكُم حَرَجٌ[٤] من قِتالِهم، فوا للهِ ما أعْرِفُ أمَّةً أعْلنَ[٥] ظلماً، ولا أحْلمَ بِجَوْرٍ منهم، فَلْتكُنِ الأيْدي عليهم واحدةً».

---

(١) التَّجَبُّرُ: التَّكَبُّرُ والتَّسَلُّطُ والقَهْرُ.
(٢) إماتةُ الصَّلاةِ: تأخيرُها عن مَوْعِدها.
(٣) الاسْتِذْلالُ: الاسْتِهانَةُ والاسْتِخْفافُ، والغَلَبةُ والقَهْرُ.
(٤) الحَرَجُ: الإثْمُ.
(٥) أعْلَنُ: أشْيَعُ وأظْهَرُ، يقال: عَلَنَ الأمْرُ، أي: شاعَ وظَهَرَ.

٥ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ الرحمنِ بنِ أبي لَيْلَى الأنْصاريِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٧٠
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥٧
والكامل في التاريخ ٤: ٤٧٨

كانَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي لَيْلَى يُقَاتِلُ بدَيْرِ الجَماجِمِ، ويَقُولُ:

«يا مَعْشَرَ القُرَّاء، إنَّ الفِرارَ قَبيحٌ، وهو منكم أقبحُ منه من غيرِكم. قاتِلُوهُم صَابِرينَ مُحْتَسِبين[1]، فإنَّ علياً رَفَع الله دَرجَتَهُ قال: مَنْ رأى عدواناً يُعْمَلُ به، ومنكراً يُدْعَى إليه، فأنكرَهُ بقلبِهِ، فقد بَرِئَ منه، وإنْ أنكرَهُ بلسانِهِ فقد برِئَ، وهو أعظمُ درجةً، ومن أنكرَهُ بسيفِهِ فذلك الذي أصابَ سَبِيلَ الهُدَى».

٦ ـ خُطْبَةٌ لِمَعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ الأسَديِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٧١

كانَ مَعْرُورُ بنُ سُوَيدٍ يُقَاتِلُ يَوْمَ دَيْرِ الجَماجِمِ، ويَقُولُ:

«﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٣، ١٤]».

٧ ـ خُطْبَةٌ لأبي البَخْتَري سَعيدِ بنِ فَيْرُوزَ الطَّائيِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٧١
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥٧
والكامل في التاريخ ٤: ٣٧٨

قالَ أبو البَخْتَريِّ سَعِيدُ بنُ فَيْرُوزَ وهو يُقَاتِلُ يَوْمَ دَيْرِ الجَماجِمِ:

«قَاتِلُوهم على دِينكُمْ ودُنْياكُمْ، فَلَئِنْ ظَهَرُوا[2] عليكم لَيُفْسِدُنَّ دِينَكم، ولَيَغْلِبُنَّكُمْ على دُنْياكم. ثم يَحْمِلُ عليهم وهو يَتْلُو: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]».

---

(١) احْتَسَبَ عندَ الله خيراً: قَدَّمَهُ، ومَعْنَاهُ اعْتَدَّهُ فيما يُدَّخَرُ. واحْتَسَبَ الأمرَ: طَلَبَ الأجْرَ عليه من الله تعالى.
(٢) ظهر عليه: غَلَبَهُ.

٨ ـ خطبةٌ لأبي البَخْتَري سعيدِ بنِ فَيْروزَ الطَّائي

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥٨
وأنساب الأشراف ١٣: ٣٧١
والكامل في التاريخ ٤: ٤٧٩

قالَ أبو البَخْتَريِّ سعيدُ بن فَيْروزَ يُحَمِّسُ القُرَّاءَ يومَ دَيْرِ الجماجمِ، لَمَّا قُتِلَ جَبلةُ بن زَحْرَ الجُعْفيُّ، وكان على خَيْلِ القُرَّاءِ، وكانت كتيبةُ القُرَّاءِ أشَدَّ الكَتائِبِ على أهْلِ الشَّام:

«لا يَسْتَبِينَنَّ[1] فيكم قَتْلُ جَبَلَةَ بنِ زَحْرَ، فإنَّما كانَ كَرَجُلٍ منكم أتَتْهُ مَنِيَّتُهُ لِيَوْمِها، فلم يكنْ ليتَقَدَّمَ يَوْمَهُ ولا لِيَتأخَّرَ عنه. وكُلُّكم ذائقٌ ما ذاقَ، ومَدْعُوٌّ فَمُجيبٌ».

٩ ـ خُطْبَةٌ ليزيدَ بنِ المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ

أنساب الأشراف ٨: ٣١٧
و البيان والتبيين ١: ٢٣٧
والعقد ٤: ١٢٧
ومروج الذهب ٣: ٢١٠
والعيون والحدائق ٣: ٧٠
والكامل في التاريخ ٥: ٧٥

لَمَّا خَرَجَ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ بالبصرةِ وَجَّهَ إليه يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ أخاهُ مَسْلَمةَ بنَ عبدِ الملكِ، وابن أخيه العبَّاسَ بنَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ في جُنْدِ أهْلِ الشَّامِ والجزيرةِ. وبلغَ ابنَ المُهَلَّبِ ذلك فَتحوَّلَ إلى واسطٍ، وتَكلم النَّاسُ فعَظَّمُوا أمْرَ أهْلِ الشَّامِ، فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ:

«رأيتُ ارْتِجاسَ[2] هذا العسكرِ بقَولهم جَاءَ مَسْلَمَةُ، وجَاءَ العَبَّاسُ، وجَاءَ أهلُ الشَّامِ. وما أهلُ الشَّام؟ هَل هم إلا تِسْعَةُ أسيافٍ، سبعةٌ منها لي، وَسَيفَانِ عليَّ؟ وما مسلمةُ؟ جرادة صفراء[3]. وما العباسُ؟ نَسْطُوسُ[4] بنُ نَسْطُوسَ، أتاكم في بَرابرةٍ[5]

---

(١) لا يَسْتَبِينَنَّ فيكم: لا يَظْهَرَنَّ عليكم، أي: لا يَهُدَّنَّكم.

(٢) الارْتِجاسُ: صَوْتُ الشيءِ المُخْتَلِطِ العظيم كالجيشِ والسَّيْلِ والرَّعْدِ.

(٣) الجرادة الصفراء: لَقَبُ مَسْلَمةَ بنِ عبدِ الملك، لُقِّبَ به لِصُفْرَةٍ كانت تَعْلُوهُ: (أنساب الأشراف ٨: ٣٥٩).

وقال الجاحظ: «الصُّفرةُ في الجَرادِ لا تكون إلاّ للذُّكورةِ، وتكون لِخفَّةِ الأبْدَانِ أشَدَّ طيرانًا». (الحيوان ٥: ٥٥٩). فلعله لُقِّبَ بذلك أيضاً لِبَسالته وشدَّة إقدامِهِ في الحرب، فقد كان «شجاعاً، وله مغازٍ كثيرةٌ بالرُّوم وأرمينيَة، وافْتَتح طُوانةَ من بلادِ الروم». (أنساب الأشراف ٨: ٣٥٩).

(٤) رجلٌ نَطْسٌ ونَطُسٌ ونَطِيسٌ ونَطَاسيٌّ: عالِمٌ بالأمور حاذقٌ بالطِّبِّ وغَيْرِهِ، وهو بالرُّوميَّةِ النِّسْطاسُ. (اللسان: نطس). ولعل

وجَرامِقةٍ[١] وجَراجمةٍ[٢] وأنباطٍ[٣] وأبناء فلاحينَ، وأوباشٍ[٤] أخلاط[٥] كأشلاءِ[٦] اللحمِ وأقباطٍ[٧]. أليسَ لكم جُنَنٌ[٨] كَجُنَنِهم؟ أولَيْسُوا بَشراً يُأْلَمُونَ كما تَأْلَمُونَ، وتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مالا يَرْجُون؟ فأَعِيروني سَواعِدَكُمْ ساعةً تَصْفِقُونَ[٩] بها خَراطِيمهم[١٠]».

١٠ـ خطبةٌ ليزيدَ بن المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ

البيان والتبيين ١: ٣١١

خطبَ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ أصحابَهُ بواسطٍ فَحمَّسهم وحَثَّهم على قتالِ أهلِ الشام، فقال:

«يا أهلَ العراقِ، يا أهلَ السَّبقِ والسِّباقِ، ومكارم الأخلاقِ، إنَّ أهلَ الشامِ في أفواهِهِمْ لُقمةٌ دَسِمةٌ[١١]، قد رَتَبَتْ لها الأشْداقُ[١٢]، وقاموا لها على ساقٍ، وهم غيرُ تاركِيها لكم بالمِراءِ[١٣] والجِدالِ. فالبسُوا لهم جلودَ النمور[١٤]».

نَسْطُوس مأخوذٌ من نِسطاس. وهو يُعَرَّضُ بالعبَّاس بن الوليد بنِ عبدِ الملك، وأنه لم يكن عربياً صريحاً، أسْمَرَ اللون كالعرب، بل كانَ هجيناً، إذ كانت أمُّه رومية، وكان أشقر أحمرَ أزرق كالعجم. (أنساب الأشراف ٨: ٣١٦، والكامل في التاريخ ٥: ٧٤).

(٥) البرابرة: جيل بالمغرب.

(١) الجرامِقة: قومٌ من العجم بالموصل.

(٢) الجراجمة: قومٌ من العجم بالجزيرة، ويقال: الجراجمة نبط الشَّام.

(٣) الأنباط: جيلٌ ينزلون سَوادَ العراق، أي: ريفَهُ وقُراه.

(٤) الأوباش من الناس: الأخلاط والضروب المتفرِّقون.

(٥) الأخلاط: الجماعة من الناس.

(٦) الأشلاء: جمع شِلْوٍ، وهو العضو، وكل مَسْلُوخَةٍ أُكِلَ منها شيءٌ فبقيَّتُها شِلْوٌ. والأشلاء: البقايا.

(٧) الأقباط: جيل بمصر.

(٨) الجنن: جمع جنان، وهو القلب.

(٩) صَفَقَهُ بالسَّيف: ضَرَبَهُ.

(١٠) الخراطيم: جَمْعُ خرطوم، وهو الأنف.

(١١) دَسِمةٌ: فيها دَسَمٌ ودُهْنٌ من اللحم والشحم.

(١٢) رَتَبَتْ لها الأشداق: ثبتت ولم تَتحرَّك، وذلك لامتلاء الأفواه.

(١٣) المِرَاءُ: المناظرة والمجادلة.

(١٤) لَبسَ فلانٌ لفلانٍ جِلْدَ النَّمر: تَنَكَّرَ له. وتَنَمَّرَ له: تَنكَّرَ وتَغَيَّر وأوْعَدَهُ، لأن النمرَ لا تلقاه أبداً إلاَّ متنكِّراً غضبان. وفي حديث الحديبية: «قد لَبسُوا لك جُلُودَ النُّمور»، وهو كنايةٌ عن شدة الحِقْدِ والغضب تشبيهاً بأخلاق النمر وشراسته. (اللسان: نمر).

وفي المثل: «شَمِّرْ وائْتَزِرْ والْبَسْ جلدَ النَّمِر»، يضربُ لمن يُؤْمَرُ بالجِدِّ والاجتهاد. (مجمع الأمثال ٢: ١٥٧).

١١ـ خُطْبَةٌ ليزيدَ بنِ المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ

أنساب الأشراف ٨: ٣٢٦
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٩٢

نَزَلَ مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ على يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ بالعَقْرِ، وأتى إلى ابنِ المُهلَّبِ ناسٌ كثيرٌ من الكوفةِ والجبالِ والثُّغُور، فَجعَلهم أرباعاً، وَوَلَّى عليهم جميعاً أخاهُ المُفَضَّلَ. ثم قام في أصحابه، فَحَرَّضهم وَرغَّبهم في القتالِ، فقال لهم:

«إنَّ هؤلاءِ قَوْمٌ لن يَرْدَعَهُم[١] عن غَيِّهم[٢] إلاَّ الطَّعْنُ[٣] في أَعْيُنهم، والضَّرْبُ على هَامِهم[٤]. إنَّه ذُكِرَ لي أنَّ هذه الجرادةَ الصَّفراءَ[٥]، وعاقرَ النَّاقةِ[٦] نَسْطُوسَ بنَ نَسْطوس[٧]، الذي كانَ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ عَزَمَ على نَفْيِهِ، فَكلَّمْتُهُ فيه حتى أَقَرَّهُ على نَسَبِهِ، ليسَ يَهمُّهما إلاَّ تَشْريدي في الأرْضِ، ولو جَاؤُوا بأهلِ الأرضِ جميعاً ما بَرِحْتُ[٨] العَرَصَةَ[٩] حتى تكونَ لي أو لهم».

---

(١) رَدَعَهُ: كَفَّه.

(٢) الغَيُّ: الضلال.

(٣) طَعَنَهُ: وَخزَهُ بالرُّمْح أو بِحَرْبةٍ أو نَحْوها.

(٤) الهام: جمع هامةٍ، وهي الرأس.

(٥) الجرادة الصفراء: يعني مسلمة بنَ عبد الملك، وكان يُلَقَّبُ بذلك لِصُفْرةٍ كانتْ تَعْلُوهُ. (أنساب الأشراف ٨: ٣٥٩)..

(٦) عاقر الناقة: يعني العباسَ بنَ الوليد بن عبد الملك.

(٧) يعني أنَّ العباسَ بنَ الوليد بنِ عبدِ الملك لم يكن عربياً صريحاً بل كانت أُمُّهُ رُومِيَّةً، وكان أشقرَ أحمرَ أزرَقَ. (أنساب الأشراف ٨: ٣١٦، والكامل في التاريخ ٥: ٧٤).

(٨) برحَ مكانه: زال عنه.

(٩) العَرَصَة: الساحة وكل بُقْعةٍ واسعةٍ بين الدُّورِ ليس فيها بناءٌ.